الخميس 27 جمادى الأولى 1433هـ 19 أبريل 2012م العدد (17320)
Thu. 19 Apr . 2012
الثورة

المخطوطات اليمنية بين فكي التهريب والتخريب

مختصون: لا بد من خلق وعي وطني بأهمية تراث اليمن

متعب الصلاحي : معظم مكتبات العالم تعج بالمخطوطات اليمنية النفيسة

الحلقة الثانية والأخيرة

«.. نواصل في هذه الحلقة الثانية مناقشة المخطوطات اليمنية بين التهريب والتغريب لتسليط الضوء أكثر على هذا التراث الحضاري المكتوب.. وما تعانيه هذه المخطوطات من صعوبات ومشاكل والحلول المقترحة لمعالجة هذه الاشكاليات وهنا يقول الأخ متعب الصلاحي أحد كوادر دار المخطوطات والعاملين في مشروع حصر وتوثيق المخطوطات بالدار في ورقته التي قدمها في ندوة المخطوطات اليمنية بين التغريب والتهريب وعدد من القضايا حيث يقول الأخ/متعب الصلاحي إن الحديث عن التراث بكل جوانبه ليس حديثاً عن الماضي ولكنه حديث عن القيمة الحضارية الفكرية الثقافية الأدبية الفنية..الخ.

استطلاع/ صادق هزبر

رأي مجتمع، وهو مجال التمايز الحقيقي، والوجه الذي تسعى أي دولة لتقديم نفسها به، وإبرازه كدليل عراقتها..

واليمن تعد من الدول التي تمتلك تراثاً هائلاً في شتى جوانب الحياة..

وبقدر ما يمتلك اليمن من تراث إنساني وإسلامي وحضاري رائع يتطلب قدراً كبيراً من العمل لانقاذه من إهمال متعمد، ولا مبالاة رسمية وصلت إلى حد التهاون أمام تدميره ونهبه والتآمر عليه..

وانتشرت في السبعينات وتزايد في الثمانينات ظاهرة البحث عن المخطوطات اليمنية بشكل مكثف واستطاع بعض المعروفين بالعمل في جانب التراث من جمع عدد كبير من المخطوطات النادرة..

ولم تقتصر عملية سلب ونهب وسرقة المخطوطات على المباني العامة المحفوظة بها بل وصل الأمر إلى الاعتداء على الأضرحة والتوابيت والمساجد، ونهب كل ما فيها من مخطوطات ومن أبرز الأمثلة على ذلك.

- سرقة مكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة عدة مرات.
- سرقة مصحف الإمام المتوكل على الله إسماعيل من شهارة، وتم بيعه ويقال إنه بيع لأحد الأجانب بمبلغ وصل إلى مليون دولار..
- سرقة مصاحف ومخطوطات من جوامع شهارة وضوران زبيد وصنعاء وحجة.
- تعرض قبة الجامع الكبير ثاني أيام عيد الأضحى المبارك لمحاولة سرقة عديدة ، منها سرقة المسودات السنانية الخاصة بتوثيق أراضي اليمن.
- السطو على مكتبة جامع السيدة أروى بنت أحمد الصليحي في جبلة وتعرضها لسرقة ما يقارب١ 47 مخطوطة نادرة من بينها مخطوطات يشملن المراسلات بين الدولة الفاطمية بمصر والدولة الصليحية في اليمن..
- سرقة عشرات المصاحف والمخطوطات الدينية والفكرية من جامع العابد بالشاهل «محافظة حجة»..
- سرقة عدد من مخطوطات جامع ثلاء، والتي يعد بعضها من أقدم المخطوطات التي في الجامع الكبير بصنعاء.

ورغم كل عمليات التهريب والسرقة التي تمت إلا أن هناك جهوداً أمنية استطاعت استعادة عدد من المخطوطات والآثار ونذكر منها:

- إحباط محاولة تهريب كمية كبيرة من منفذ حرض كانت بطريقها إلى دولة مجاورة، قامت بها عصابة كبيرة، والتي وجد بحوزتها«500 » مخطوط نفيس.

إضافة إلى ما قيل عن« 2000 »مخطوط آخر ضبط بحوزة نفس العصابة في أحد أوكارها بصنعاء..

- ذكرت صحيفة« 26 »سبتمبر عن إحباط أجهزة الأمن في عدد من محافظات الجمهورية تهريب كميات كبيرة من الآثار النادرة منها«1981 » مخطوطة، ومن ضمن العصابة أشخاص غير يمنيين .
- ضبط عدد من المخطوطات عام2000 م في مطار صنعاء يعود تاريخ بعضها إلى أكثر من 300عام..
- قام رئيس العصابة بإلغاء شخصية العديد من الكتب حيث قام بشطب الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من تلك المخطوطات النادرة وهما الصفحتان اللتان يوجد فيها نسب المخطوط كاسم المؤلف العنوان والتناسخ والتمليكات والسماعات وغيرها..

كما قام بتقسيم بعض المجلدات إلى أكثر من جزء.

المخطوطات اليمنية بين التهريب والتغريب

● «، لقد مرت اليمن بأحداث وكوارث وصراعات وحروب وأوضاع اقتصادية وسياسية متقلبة جنت على كنوز التراث وأفقدت البلاد الآلاف من نفائس المخطوطات والكنوز العلمية التي لا تقدر بثمن.

وهناك الكثير من المخطوطات اليمنية التي رحلت قصراً من موطنها اليمن لتستقر في المكتبات الغربية والأجنبية وقد نشطت حركة تهريب ونهب وسرقة المخطوطات خلال حقب مختلفة من الزمن.

وبعد هذه المقدمة المقتضبة سنبدأ باستعراض أهم أسباب سرقة وتهريب المخطوطات:

١- عدم وجود رقابة كافية مما أدى إلى انتشار ظاهرة سرقة وتهريب المخطوطات.

٢- عدم الاهتمام الكافي بقصد أو بدون قصد فالبعض لا يدرك أهمية المخطوطات وقيمتها العلمية وربما يتعمد عدم الإدراك من أجل أغراض أخرى..

٣- الأوضاع المضطربة والمتقلبة التي توالت على اليمن والتي خدمت كثيراً اللصوص وتجار وعصابات التراث والمخطوطات.

٤- الحدود المفتوحة التي تمتلكها بلادنا، مما يسهل من مهمة تهريبها إلى الخارج بعيداً عن أعين الرقابة والأمن.

٥- حاجة بعض الأشخاص والأسر للأموال ، حيث يسيل لعابهم للعملات الأجنبية والمبالغ الخيالية التي تعطى لهم.

٦- عدم توفر الدعم المادي المحلي لدى المؤسسات والجهات المعنية بالحفاظ على المخطوطات ، من أجل إقتناء المخطوطات وإغراء أصحابها لبيعها لهم.

وخير مثال على ذلك دار المخطوطات الذي يقف عاجزاً عن توفير الأموال من أجل دفعها لأصحاب المخطوطات الذين يبيعونها لهم بالأجل، ويتم سدادها عبر مراحل متباعدة ..

٧- تشتت وتفرق المخطوطات في أنحاء مختلفة من الجمهورية طرق وأساليب التهريب والتغريب

١- عن طريق السرقة

٢- الشراء، حيث هناك الكثير من العصابات والجماعات التي تنشط في مجال المتاجرة والسمسرة بالمخطوطات.

ومن خلال فهارس المكتبات الأجنبية والغربية نكشف حجم ذلك العدد المهول من المخطوطات التي سُرِّبت من اليمن للخارج عبر طرق مختلفة.

وهنا نذكر أهم وأبرز المكتبات التي تقبع بين جوانبها كنوز المخطوطات اليمنية:

1) مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا التي تضم وحدها نحو 7000 ألف مخطوط يمني، ولعلها أكبر مجموعة يمنية موجودة في أي مكتبة أوروبية أخرى هربت أغلبها عبر سماسرة وتجار إيطاليين منهم جوزيبي كابروتي وكيل إحدى الشركات الإيطالية في الحديدة ثم صنعاء.

2) مكتبة فينا النمساوية والتي يوجد بها ما يقارب 150مخطوطة يمنية.

) 3مكتبة برلين والتي يوجد بها ما يقارب من250 مخطوطة جُلبت عبر المستشرق الألماني "إدورد جلازر".

4) مكتبة المتحف البريطاني بلندن والتي تحوي مجموعة كبيرة من المخطوطات اليمنية تقارب الألف مخطوط منها 328 مخطوطة أحضرت عبر "إدواردجلازر" وهي أكبر مجموعة أحضرت عن طريق شخص واحد.

5) مكتبة الكونجرس الأمريكي الذي يوجد بها كم كبير من المخطوطات اليمنية منها كتاب البرهان في معرفة عقائد الإيمان للعباس بن المنصور بن عباس البريهي المتوفي سنة683 هـ.

6) المكتبة الملكية في كوبنهاجن الدنماركية والتي يوجد بها الكثير من المخطوطات أحضرت عبر الرحالة الدنماركي المشهور "كارستين نيبور".

7) مكتبة علي أميري في تركيا التي يوجد فيها حوالي 2000 مخطوط يمني بالإضافة إلى وجود مخطوطات يمنية أخرى في شتى المكتبات التركية والتي جمعت كمّاً هائلاً من المخطوطات العربية ومنها اليمن أثناء بسط نفوذها عليها لمدة تقارب 400عام والتي تركن فيها مخطوطات يمنية منها: مكتبة ليدن بهولندا ومكتبة الأوسكوريال في مدريد والمكتبة الأهلية بباريس ومكتب جامعة كمبريدج وبودلين بمدينة اكسفورد.

الاقتراحات والتوصيات

توفير الأماكن الآمنة بعيداً عن كل الأخطار المباشرة وغير المباشرة ومنها توفير مبنى آمن يضم جميع المخطوطات اليمنية.

التوعية بأهمية المخطوطات وطرق الاحتفاظ والعناية بها عبر الوسائل الإعلامية المختلفة، وتعريف الناس بما تمثله هذه المخطوطات من ثروة قومية لا يجب بأي حال تحت أي ظرف التفريط بها.

وضع القوانين والتشريعات الصارمة ضد كل من يقوم بسرقة وتهريب والمتاجرة بالمخطوطات اليمنية من أجل الحد من الإجرام الذي يلحق بالمخطوطات وهؤلاء التجار والسماسرة من ضعيفي النفوس الذين يقدّرون قيمتها الحضارية والعلمية.

قيام الجهات الرسمية المعنية بالمخطوطات بتوفير الدعم المالي اللازم من أجل إغراء العامة على بيع المخطوطات وتجنيبها التهريب والبيع للخارج.

مراعي تهامة... فضاء فسيح وطبيعة فاتنة

ساحل الخوخة.. ثلاثية من الجمال يمتزج فيها البحر مع النخيل والنسيم العليل

تحقيق/ زهور السعيدي

«.. أبرز وأهم ما يلفت الزائرين والسياح عند وصولهم إلى المناطق التي تنتشر فيها زراعة أشجار النخيل هي تلك الصناعات والمنتجات الشعبية المتراتبة التي تصنع من هذه الأشجار، ناهيك عن المنازل الريفية الرائعة من عسف النخيل حيث يحرص الكثير من السياح على الجلوس تحت تلك الأسقف الرائعة والاستمتاع بالنسائم العليلة التى تتوفر تحتها وخاصة على شاطئ البحر كما هو الأمر في القرية السياحية على ساحل الخوخة حيث توجد على الشاطئ أنواع من تلك المنتجعات «البسيطة» يتم استئجارها من قبل السياح للاسترخاء تحت أفيائها وقضاء أوقات ممتعة برفقة ثلاثية النخيل والبحر والنسائم العليلة.

فمثل تلك المناظر من السمات الخاصة والألوان الفلكورية التراثية الرائعة التى لايجدها السائحون إلا في مناطق زراعة النخيل.

تناغم بيئي بديع

هناك علاقة تكامل وتناغم بديع بين مكونات البيئة المختلفة الحيوانية والنباتية..

وكل منها يساهم في دعم الآخر لتستمر الحياة على كوكبنا الأرض وفق النظام الرباني الذي أراده الخالق العظيم.

وأشجار النخيل كغيرها من المخلوقات النباتية تعد واحدة من أهم وأبرز أنواع الشجر التى تعد صديقة للبيئة فالباسقات وطلعها النضيد كما ورد ذلك في القرآن الكريم تمد حياتنا بالكثير من الفوائد على كافة المستويات المعيشية والبيئية وتعتبر النخلة صديقة للبيئة لأن جميع مخلفاتها يستفيد منها الإنسان فللنخلة فوائد كثيرة خلاف ثمرها وتستخدم في مناحي شتى وفي صنع العديد من الأنشطة اليدوية.

استخدامات متعددة

وتستخدم أوراق شجرة النخيل في صناعة القبعات الشعبية المتنوعة الأشكال والأحجام فتجد أن السكان في المناطق الريفية التى تنتشر فيها زراعة أشجار النخيل يبدعون في العديد من الصناعات التقليدية اليدوية ويساعد فيها الرجال والنساء فيصنعون القبعات ويبيعونها في الأسواق الشعبية المختلفة وتعتبر القبعات من الصناعات اليدوية القديمة التى يعود تاريخها إلى آلاف السنين وهذا الموروث الشعبي الأصيل يرتبط بصورة مباشرة بالنخيل وكذلك تصنع من عسف النخلة «الزنابيل» المختلفة والقفف، ومن جريد النخلة تصنع كذلك أنواع مختلفة من السلال والأوعية التى تستخدم عادة في نقل الفواكه والخضروات إلى الأسواق إلى جانب استعمالها في حفظ أنواع من الأغذية كما يستخرج من نوع التمر زيوت متنوعة، أما جذع النخلة فتستخدم في الأرياف كأدوات بناء للمنزل كأحد أهم مكونات البيت لريفي وخاصة في المناطق التهامية.

المراعي الطبيعية

وتشكل المراعي الطبيعية مورداً هاماً للثروة الحيوانية في تهامة إذ يعتمد عليها القطاع الرعوي التقليدي اعتماداً شبه كامل لتربية الحيوان وتغذيته وتنتشر هذه الموارد الرعوية في مواقع وبيئات متباينة تشمل الكثبان الرملية والسواحل والأحراج والغابات والتى تكسوها أشجار المحميات السلم والمر والسدر والاراك مع الأنواع الصاحبة من الحانش والشجيرات التى تشمل التمام والبكار والسمد.

ومن الواضح أن هناك ترابطاً وتداخلاً تاماً بين المراعي الطبيعية وأنماط استغلال الأراضي الأخرى كما يوضح ذلك مسئولون في هيئة تطوير تهامة ويرجع ذلك كما يقولون إلى أن مكونات النظام البيئي تترابط وتتفاعل مع بعضها في انسجام لايفرط عقده إلا عند حدوث خلل في ذلك النظام نتيجة للعوامل الطبيعية أو لتدخل الإنسان والحيوان حيث أن الماء والتربة والنبات والحرارة والضوء والأحياء الأخرى بمختلف مراتبها تتفاعل مع بعضها ويؤثر كل منها على الآخر بشكل إيجابي أو سلبي وفقا لنوعية وكمية الفعل المصاحب لأي من مكونات النظام البيئي كما أن هناك تداخلات بين أنماط استغلال الأراضي إذ نجد بيئة الأحراج يتم استغلالها للزراعة أحياناً وللري تارة أخرى واستغلال منتجاتها من الفحم حطب الوقود في مواقع أو مواسم أخرى، كما أن أراضي الزراعة المطرية تتحول إلى مراعي طبيعية في المواسم التي تشح فيها الأمطار ولا تفي بمتطلبات المحاصيل الزراعية وتزحف الزراعة المطرية والمروية على أراضي الغابات والمراعي كما تكتسب بعض الكثبان الرملية بغطاء من النباتات الرعوية لتشكل مربعاً لكثير من حيوانات المراعي الطبيعية.

حرف يدوية ومصاعب مختلفة

الحرف اليدوية التى تعتمد في صناعتها على أشجار النخيل تعتبر من المهن الاقتصادية التي تدر الدخل على كثير من الأسر الريفية.. غير أن هذه المهن باتت تواجه الكثير من المصاعب والتحديات ولابد للأنشطة البحثية ووزارة الزراعة العمل على المحافظة على هذا التراث الشعبي والعمل على التوسع في زراعة الأصناف المحلية للمحافظة على التسحين الوراثي فهذه الشجرة وزيادة إنتاجها.

وتواجه الصناعات والنشاطات الحرفية التي تعتمد على شجرة النخيل عدة صعوبات وعلى الجهات المعنية الاهتمام بها حيث الاستفادة من الخبرات الأولية وإدخال تقنيات ممكنة ولمسات جمالية للصناعات المختلفة المصنوعة من شجرة النخيل والرجوع إلى شجرة النخيل المباركة والاستفادة منها بأكبر قدر ممكن وإتاحة الفرصة للأسر القادرة على الإنتاج بصنع العديد من المسلتزمات والأغراض المنزلية وتقديم الدعم الكافي لهم من أجل تحسين الإنتاج.